الفنون الشعرية المتطّورة والمستحدثة في الشعر العراقي الشيعي في القرن السابع الهجري
(دراسة تحليلية)

المدرس الدكتور
جنان فاضل علي الجعيفري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

الفنون الشعرية المتطّورة والمستحدثة في الشعر العراقي الشيعي في القرن السابع الهجري (دراسة تحليلية)

المدرس الدكتور
جنان فاضل علي الجعيفري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد(صلى الله عليه وآله) وعلى أهل بيته الائمة الأطهار، وصحبه الأخيار، وبعد :

الشعر وسيلة من الوسائل المهمة في تخليد الأفكار والأحداث والقيم التي تشكل هوية الأمة ، وتحدد ملامحها الفكرية والثقافية والحضارية، ولقد سارت فنون الشعر العربي في القرن السابع الهجري باتجاهين: اتجاه محافظ، واتجاه مستحدث، وما يهمنا في هذا البحث، الحديث على الفنون الشعرية المطورة والمستحدثة، ومن أبرز الفنون الشعرية المطورة في العراق فهي: الموشح والألغاز، وأمّا الفنون الشعرية المستحدثة فهي: الدوبيت والمواليا، والكان وكان. وفق ذلك سوف نتناول هذه الفنون في شعر شعراء الشيعة في هذه الحقبة، وقد حفلت هذه المرحلة بكثير من الشعراء، وقد عاصر هؤلاء الشعراء التغيرات الفكرية والاجتماعية والثقافية التي وقعت في تلك الفترة، وقد عايشوا كل ذلك وعبروا عنه بأشعارهم تعبيراً صادقاً، بحيث نستطيع أن نقول إنهم استطاعوا أن يمثلوا ظروف حياتهم تمثيلاً صادقاً، ومن الشعراء البارزين الذين ظهروا في هذه المرحلة: شهاب الدين التلعفري ، وشمس الدين الكوفي ، وابن زبلاق، وابن الحلاوي، فخر الدين المقرىء، وسوف نختصر في دراستا على شعرهم، بحيث تؤدي الغرض، وتوفي بالمراد، وهذا سوف ما نراه من خلال استعراض لنماذج أشعارهم وتحليلها والوقوف على أهم القضايا التي عالجها شعرهم.

الدوبيت

أحد الأوزان الشعرية المستحدثة، الخارجة على قواعد العروض العربي(١)، والدوبيت لفظ فارسي معناه (زوج) بيت، حيث يُعبّرُ بكل بيتين منه عن فكرة محدّدة، يقول التلعفري:

هـــا قـــد قضـــى الفـــراقُ البـــين لنـــا فـــاحبس نفســـاً ياســـائق العـــيس لنـــا
قـــف نـــدع إلـــى الله تعـــالى فعســـى ان يجمـــع بيننـــا كمـــا فرقنـــا[٢]

وقد عُرف باسم (الرباعي) أو (الرباعيات) لأنّه مؤلف من أربعة مصاريع، تكون القافية في الأول والثاني والرابع واحدة. كما في قول الملك ا لناصر لدين الله.

يـــا ســـائقها وجـــداً علـــى الآمـــاق لا تعجـــل فـــي تفـــرق العشـــاق
واحـــبس نفســـاً تخـــط بـــأجر وثنـــا منـــا ومـــن المهـــيمن الخـــلاق[٣]

وإننا نرى ما ذهب إليه د. عمر خلوف[٤] بأنّ استخدام مصطلح الدوبيت على هذا الفن الشعري أقرب من تسمية بالرباعيات لأنَّ عَلَمٌ على هذا الوزن، لا يشاركه أي بحر آخر يشبه قولنا: الكامل ،أو الطويل، أو البسيط، بينما تشير كلمة (الرباعيات) إلى جميع ما كتب بطريقة الرباعيات على أي وزن كان.
أما وزن الدوبيت فهو:

فعلـــن متفـــاعلن فعـــولن فعلـــن فعلـــن متفـــاعلن فعلـــون فعلـــن

ويطرأ على هذا الوزن زحافات كثيرة وقد ذكرها الدكتور محمد زغلول سلام والأستاذ أحمد صادق الجمال بأنها (فاعلن)[٥]، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة هذا الفن الذي يتميز من غيره بتخليه عن قواعد الإعراب وموازين الصرف[٦] ليوائم طبيعة إيقاعه الغنائي، إذ إنَّ لهذه الزحافات والعلل تتخذ في مواقعها المختلفة إشكالاً عديدة، تجعل منه وزناً غنياً ثراً، يتيح للشاعر سعةً وحريةً في الحركة تساعده على النظم، وتعينه على الاختيار، والدوبيت، كما يقول الدكتور مصطفى جواد[٧]، من أوزان الشعر وفنونه الجميلة، وتشير المصادر إلى أنَّ

ظهور أول رباعية دوبتية كان في أواخر القرن الثالث الهجري حيث جاء ذكرها في كلام للجنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ) ومعاصره أبي ا لفضل الهاشمي (ت٣١٧هـ) إبّان انتشارها في قرنين[٨]، فرباعية الحلاج (ت٣٠٩هـ) رباعية دوبتية فريد، إذ يقول فيها:

كم ينشرني الهوى وكم يطويني ... يا مالك دنياي ومالك ديني
يا من هو جنتي، ويا روحي أنا ... إنْ دام عليّ هجركم يُعييني

ولعل رباعية العتابي (ت٢٢٠هـ) شاعر البرامكة، أقدم رباعية دوبتية عربية[٩] والتي يقول فيها:

[يا ساق] حضُنّي بما تهواه ... لا تخرج أقداحي رعاك الله
دعها صرفا فإنني أمزجها ... إذ اشربها بذكر من اهواه[١٠]

ومما قيل انّ الدوبيت لم يكن في العربية قبل القرن السابع، وحجتهم في ذلك، قولهم: انهم لم يجدوه في شعر أحد قبل ذلك الزمن، ولم نجد للشعراء ولعاً به إلا في أواخر تلك المئة وما بعدها، وهذا القول مردود فضلاً عما ذكرنا آنفاً، فقد أحصى الدكتور كامل مصطفى الشيبي نيفا وعشرين شاعراً من القرن الخامس والسادس نظموا في الدوبيت[١١]، وأما مخترع الدوبيت فيرى الدكتور كامل مصطفى الشيبي[١٢] أنّه محمد بن إبراهيم بن علي الباخرزي وهو من رجال القرن الخامس الهجري، وهذا القول يجانب الصواب لما ذكرناه آنفاً بوجود أقدم رباعية دوبيتة عربية فضلاً عما أورد الأستاذ المحقق هلال ناجي من أنه عُثر على رباعية لشاعر عاش قبل الباخرزي وهذه الرباعية هي لفخر الملك صاحب بغداد (٣٥٤- ٤٠٧هـ) واسمه محمد بن علي بن خلف من أعاظم وزراء بني بويه، ومنها:

كم قد حلفت بكل آي وأب ... أن تسمح لي فاعقب بالكذب
حتى حلفت على التجني مؤقت ... ما تصدق إلا (في) يمين الغضب[١٣]

بينما يرى الدكتور مصطفى جواد[١٤] أنَّ مخترع الدوبيت هو أبو عبدالله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبدالرحمن بن آدم الشاعر الفارسي السمرقندي الروذكي (ت٣٢٩) والحق، أنَّ هذا الرأي يقرب من الصواب لأنه يتناسب مع ما ذكرناه آنفا.

وأشتهر هذا اللون الفني من النظم في القرن السابع الهجري وذاع شيوعه بين شعراء هذه الحقبة فكتبوا فيه الرباعيات العديدة، وتنالوا في نظمه أغراض الشعر المختلفة، وان كان الغزل من أكثرها شيوعاً إذ ترجم فيه الشعراء عواطفهم وأحاسيسهم، ووصفوا محبوباتهم وتعزلوا بهنَّ، وصوروا تعلّقهم بمن يحبون وولعهم به، فمن أمثال الدوبيت قول شهاب الدين التلعفري :

يـــامن شـــبهت فـــي حســـنها بـــالقمر ... جـــودي لفتـــى بـــات حليـــف الســـهر
بـــالله صـــلي فـــإنني فـــي ولـــه ... ابكـــي بـــأدمع كـــالمطر ا[١٥]

يتغزل الشاعر بحبيبته التي وصف حسنها بالقمر بان تجود عليه بوصلها ووودها فقد بات حليف السهر، متذللا ومتوسلا لها، فجراحات قلبه كثيرة، لا يداويها ولا يشفيها إلا وصلها. ويبدو أن دوبيت الغزل بالمحبوب ودواعي الغرام، ولوا عج الصبابة والهيام نصيب كبير في النظم عند الشعراء، فمن ذلك قول لتلعفري[١٦] دوبيت يصف به حاله من الصد والحرمان من المحبوب، وأنه صابر على ما ابتلي من العشق والغرام، وان كان قتله رضا لمن يهواه فذلك غاية مايتمناه بنفسه :

إن ســـرك مـــا يســـوء مـــن أحـــوال ... زدنـــي فإنـــا أصـــبر للأهـــوال
أو كنـــت لقتلـــي طالبـــاً فهـــو إذا ... أرضـــاك لـــديَّ غايـــة الآمـــال

ويصور الشاعر التلعفري لحظات الوداع وفراق الأحبة فيقول دوبيت:

جـاءت لـو داعـي وهـي نشـوى القـد ... تبكـــي بـــدموع ســـيلها كالمـــدِّ
لكـــن دمعهـــا منصـــبغ بخـــدها ... إذ قـد صـبغت حمـر دمـوعي خـدّي[١٧]

ويصرح الشعراء في غزلهم العذري بأسماء محبوباتهم . جريا على عادة الأقدمين فمن ذلك قول التلعفري:

تعشـــقتها زهـــراء أحلـــى مـــن المنـــى ... لهـــا حاجـــبٌ كـــالقوس بالســـهم مقـــرون
تقـــول: إذا مـــا رمـــتُ منهـــا وصـــالها ... أنـا؟ مـا أنـا ليلـى بـلا أنـت مجنـون(١٨)

ويبدو أن الشاعر افتن بجمال حبيبته زهراء ، فراح يصرح بعشقه لها من دون حرج او خوف، فقد رمته بسهام حاجبيها اللذين كالقوس المقرون .

وينظم الشعراء الدوبيت في التصوف والاصطلاحات الفلسفية فمن ذلك ما قاله التلعفري من دوبيت:

ان كـان لكـم فـي أخـذ روحـي غـرض ... فالســـقم ينـــوب عـــنكم والمـــرض
هـــا قـــد فنـــي الجـــوهر منـــي ومضـــى ... فـــي حـــبكم فيكـــف يبقـــى العـــرض(١٩)

فالجوهر والعرض من الاصطلاحات الفلسفية والصوفية.
والمحب دائم يتشوق إلى حبيبه، و لا تسكن روحه ولاتهنأ إلاّ برؤيته والدنو إليه ، بيد أنه اتخذ من التغني بجمال الطبيعة ما يصبو إليه .

ولوصف الخمر وساقيها حضور كبير في نظم الدوبيت، فمن ذلك قول التلعفري دوبيت يصف فيه فضل الخمرة المشهور في السكر والنشوة لذا فهو يشكر صانعها:

للكـــــرم يـــــد صـــــنيعها مشـــــكور ... عنـــــدي أبـــــداً وفضـــــلها مشـــــهور
لـــو جـــزتُ عليـــه صـــاحيا لانحرفـــتْ ... بـــي عـــن ركـــابي وأنـــا مخمـــور(٢٠)

ولجمال ساقيها وتلألؤ الكؤوس بيديه شموس مشرقة قد افقدت صواب الشاعر فخر الدين المقرئ بيد أنه كاد أن يفقد رشده، فيتناول قدح الخمر مع كف ساقيها، فيقول دوبيت.

ســـاق قمـــر بكفـــه شـــمس ضـــحى قـــد أســـكرني مـــن راحتـــه ومما
لـــو أمكننـــي والـــروح فـــي راحتـــه فـــي الحـــال شـــربت كفّـــه والقـــدحا(٢١)

وأحيانا يمزج الشاعر وصف الخمر بالغزل، فمن ذلك قول التلعفري دوبيت:

قـد حيّرنـا خـدُّك ــ يـا أسـماءُ ــ لمـا أمتـزج الخمـرُ بـه والمـاءُ
لـو لـن يـكُ مـن شـقائق النعمـان مـا كـان عليـه نقطـة سـوداء(٢٢)

وفي الحكمة والوصف يقول التلعفري دوبيت:

إذا مـا بـات مـن تـرب فراشـي وبـتُ مجـاور الـربّ الـرحيم
فهنـونـي اصـيحابي وقولـوا لـك ألبشـرى قـدمت علـى كـريم(٢٣)

والحق أنّ الظرف والدعابة أكثر ما يتسم به الدوبيت ، فمن ذلك قول التلعفري دوبيت:

قلبـي ذَهَبـتْ ليُعْـدكُمْ راحتُـهُ مـا الصـبر علـى بعـادكم عادتُـهُ
بنـتُم فرثـي لِمَابـهِ شـامتُهُ لا كـانَ فِـراقُكُم ولا سـاعتُهُ(٢٤)

مما يلحظ أنَ الشاعر في نظمه للدوبيت هنا كان قاصداً الظرافة والخفة، إذ عمد إلى تعبير شعبي دارج في قوله لا كان فراقكم ولا ساعته وهذا مما أنفرد به الشاعر عن غيره من شعراء عصره في نظمه للدوبيت، وكذلك ما قاله من دوبيت آخر:

من أين أنا والنحل من (بُلبيسِ)[٢٥] لو لا تكد الدهر القليل الكيس؟
عندي لكم . يا سادتي . شرح هوىً ما ينشر عن (لبني) ولا عن (قيس)[٢٦]

المواليا

تباينت آراء الدارسين في نشأة فن المواليا، فمنهم من يرى أنَّ أهل واسط هم أول الناس الذين نظموا فيه (وإنَّ أول ما تكلموا به من قول بعضهم:

منازل كنت من بعدك درس
خراب لا للعز تصلح ولا للعرس
فأين عينيك تنظر كيف فيها الغرس
تحكم والسنة المداح فيها خرس)[٢٧]

ويذهب بعضهم أنّه أخترعه أشياع البرامكة وأتباعهم بعد نكبتهم، فقد حرّم عليهم الرشيد رثاءهم باللغة الفصحى، فراحوا يرثون وينوحون عليهم بلغة غير معربة: أي ما يشبه العامية، وينهون مقاطعهم بعبارة ويا مواليا[٢٨]، وينقل محمد بن إسماعيل[٢٩] عن السيوطي قوله بعد هذه الأحداث أنَّ جارية له (البرمكي) رثته (بهذا الوزن تنشده وتقول يا مواليا، وإنَّ أول ما نظمت منه قولها:

يا دار أين ملوك الأرض أين الفرس
أين الذين حموها بالقنا والتترس
قالت ثراهم رمم تحت الأراضي الدرس
سكوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

أما سبب تسمية هذا الفن الشعري بفن المواليا يعود إلى موالاة قوافيه بعضها بعضاً(٣٠). وللمواليا وزن واحد(٣١)، هو بحر البسيط ويتكون من أربعة مصاريع متشابهة الأواخر ساكنة الروي، والذين ينظمونه يسمونه (الموالة)، هم لا يلتزمون فيه ضوابط اللغة العربية من حيث الإعراب لذا فقد كان سهل التناول وصاروا يغنون به في رؤوس النخل وعلى سقي الماء، ويقولون في آخر كل صوت يا مواليا، ويؤكد ابن خلكان ذلك ، مشيرا إلى في طبيعة هذا الفن وطريقة نظمه فقال: (ألم بعض البغادة في مواليا على اصطلاهم، فانهم ما يتقيدون بالإعراب فيه، بل يأتون به كيفما اتفق وذكر المواليا الآتي:

ظفـــــــرت ليلـــــــه بليلـــــــي ظفـــــــرة المجنـــــــونْ
وفلـــــــت وافـــــــى لحظـــــــي طـــــــالعّ ميمـــــــون
تبســـــــمت فأضـــــــاء اللؤلـــــــؤ المكنـــــــون
صـــــــار الـــــــدُّجى كالضـــــــحى فاســـــــتيقظ الواشـــــــون(٣٢)

وقد شاع المواليا في أواخر الدولة العباسية، ولاقى قبولاً حسناً عند بعض شعراء القرن السابع الهجري فخصصوا له مكاناً في أشعارهم ودواوينهم، ومن بين هؤلاء الشاعر التلعفري قال مواليا :

أكحـــــل أوطـــــف أهيـــــف أحمـــــر أحـــــوى أحـــــور
أغـــــنّ المســـــئ رخـــــيم الحـــــس رشـــــيق أســـــمر
تـــــرقس مُـــــدلّكٌ ملـــــيح كَـــــيْسٌ حلـــــو سُـــــكر
رخـــــص البنـــــان بهـــــيٌّ المنظـــــر شـــــهي المخبـــــر(٣٣)

ويبدو أنَّ الشاعر قد ألمّ بجميع الصفات جميلها وقبيحها، ملبياً أذواق العامة والخاصة.

الكان وكان

من الفنون الشعرية غير المعربة، نشأ في بغداد (في أواسط القرن الخامس الهجري، ثمّ بدأ انتشاره واشتهاره في أخرياته، ثم تحقق استقراره في بغداد في أوائل القرن السادس ليبدأ رحلته في أقطار المشرق منذ أواسط هذا القرن)([٣٤]).

أما البدايات الأولى لظهور هذا الفن الشعري ، فان كتب تاريخ الأدب العربي لم تسعفنا إلّا إنَّ الدكتور رضا محسن القريشي([٣٥]) قد عثر على نصوص ومقولات تاريخية قديمة توصل من خلالها إلى أنَّ العامة في بغداد هم أول من نظموا في هذا الفن فمخترعه البغاددة، ثم تداوله الناس في البلاد، فلم يحار فيه بحار، ولم يدخل لهم مبار في غبار، وسمى بذلك لأنهم أول ما اخترعوه لم ينظموا فيه سوى الحكايات، والخرافات، والمنصوبات والمراجعات، فكان قائله يحكي (ما كان وكان) ولفظة قالب لذلك قابل له إلى أن كثر واتسع طريق النظم فيه وظهر لهم مثل الشيخ جمال الدين بن الجوزي والشيخ شمس الدين الواعظ، والشيخ شمس الدين الكوفي، فنظموا فيه المواعظ والزهديات والأمثال والحكم، فتداولها الناس.

وتطور فن الكان وكان في بغداد يتطور الزمن وتناوله العامة، وصارت تعبر به عن مكامنها وخلجاتها، واضحى فناً يمثل مرحلة معينة من مراحل تطور أدب العامة في بغداد، في وقت بلغ العلم فيها أوج عظمته في الترجمة والتأليف والمناظرة بين العلماء والأدباء والشعراء والخاصة، فوسمت اللغة الفصحى يحملها راية العلم والأدب والشعر، في حين نجد اللغة العامية أخذت جانبا آخر هو ترجمة حياة العامة بما فيها من لهو ومجون وحكايات وخرافات ووعظ وما إلى ذلك من حياتهم الخاصّة، ولقد سجل هذا الجانب شعراء العامة . من كان ينظم بشعرهم سواء من كان من الفضلاء أم من عامة الناس.

وإنَّ معظم الذين نظموا في شعر الكان وكان بعد شيوعه الوعاظ كابن الجوزي، أو شمس الدين محمود، وشمس الدين الكوفي ، محمد بن القاسم الواسطي، وغيرهم واستعمله هؤلاء الوعاظ في مخاطبة العامة الذين ليس لهم ثقافة خاصّة وتفهم للأدب والشعر واللغة وعلوم الدين وسواها ولاتهم يتكلمون اللغة العامية المحدودة في نطاق ثقافاتهم، ولذا أنظم الوعاظ هذا الشعر بلغتهم ومن المؤسف كان الشعراء والمؤرخون غير مكترثين بهذا الشعر، لذا فإنه لم يدوّن إلّا القليل منه، فذهب كغيره إدراج الرياح فضاع وضاعت معه معان وأغراض، وتراث في غاية الأهمية لو قدر له أن يصل إلينا لكان في حوزتنا ثروة فكرية هائلة وكنا لمسنا من خلالها أدباً رفيعاً زاخراً بالأفكار والمعاني والأغراض، نحن بأمس الحاجة إليها، إذ يمثل هذا التراث الشعبي روح الشعب المعبر عن واقعها الحقيقي في ذلك العصر.

ويعلل الدكتور رضا محسن القريشي سبب

انحساره وعدم نزوع الشعراء إلى النظم فيه هو (عدم لياقته للغناء، ولأنه خاص بالوعظ والحكايات والخرافات والمحاضرات فلما سئم الانسان العربي إلى سماع الوعظ، وتأكد من أن الحكايات، والخرافات لا توصله إلى مبتغاهُ أعرض عنه إلى ما يلائم نفسه التي تحملت من الآلام والمصائب ما يعجز عن تحمله الإنسان الاعتيادي، كما أنه بقي مقتصراً على أهل بغداد وقتاً ثم استقل إلى القاهرة)[٣٦]،وإنَّ فن (الكان وكان) كان ينظم في بدايته على شكل بيت واحد يتكون من أربعة أغصان أو بيتين، ثم صار ينظم على شكل منظومة تتألف من عدة أبيات حسب غرض الشاعر الذي يروم النظم فيه،وإما وزن فن (الكان وكان) كما يقول ابن حجة الحموي ويتابعه في رأيه صفي الدين الحلي فإنَّ له وزن واحد وقافية واحدة[٣٧]، وهو كالآتي:

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فعلان

يقول شمس الدين الكوفي مخاطباً هؤلاء، الغافلين عن عبادة الله:

أي من غفل وتوانى الركب فاتتك صحبته
وفي الدُجى جاد بيهم حدى وحثّ النُوقْ

***

حث المطايا لعلّك بمن تقدّم تلتحق
من لا يحث المطايا ما يبصر المعشوق

***

فناقتك تتمضح من شدة السير بالدما
تصل إلى موطنها مضمخة بخلوق(٣٨)

ففي هذه المنظومة (الكان وكان) ترى أنّ الشاعر يخاطب فيها هؤلاء الذين فاتهم الركب وهم غافلون عن عبادة الله (سبحانه وتعالى) وما عليهم إلا أنّ يحثوا مطاياهم للوصول إلى المعشوق وهو رمز صوفي يعبر فيه الشاعر عن ذات الله (جل جلاله).

وفي منظومة أخرى للشاعر يخاطب فيها العصاة الذين خرجوا عن طاعة الله ورحمته، إذ يقول:

يـــا مـــن عصـــى وتجـــرّا ارجـــع إلـــى مـــن قـــد ســـترْ
أراك تعصـــــــي ولطفـــــــو وايـــــــــــــــم وراكْ وراكْ

***

متـــى قصـــد تـــو فِـــتَح لَـــكْ فـــي الحـــالِ أبـــوابُ الرضـــا
ولـــو قصـــدتُ بـــذي الحالـــةْ يومـــــاً ايـــــاك ايـــــاكْ

***

لطفُـــو تـــرى فـــي المضـــايق يصـــلْ وان كنـــت منُقطـــعْ
عَنّـــو وغيـــر ويقطـــعْ فيمـــا عَـــراك عُـــراكْ

***

لا فـــي بَلَـــدكُ مـــع أهلـــك تقعـــد ولا مكـــة تصـــلْ
ولا بِـــوادِي بُـــوادِي تحـــت الأراكِ اراكْ

***

قـــال لـــي حبيبـــي مالـــك مثـــل الســـواك مـــن الضـــنا
فقلـــت مـــا خلّانـــي مثـــل الســـواك ســـواكْ

***

لا فـــي بَلَـــدكُ مـــع أهلـــك تقعـــد ولا مكـــة تصـــلْ

ولا بِـــــــــــوادِي بُـــــــــوادِي تحـــــــــــــــــــت الأراكِ اراكْ

***

قـــــال لـــــي نقلـــــع علـــــيّ فقلـــــت لـــــو يـــــا ســـــيّدي
الله وكـــــــــــلّ العـــــــــالم تـــــــدري أننـــــــي أهـــــــواكْ

***

فقـــــــال نعليـــــــك اخلـــــــع إن أردت وادي قـــــــد ســـــــنا
وذا هوانـــــــا يقـــــــول لـــــــك اخلـــــــع حـــــــذاك حـــــــذاكْ(٣٩)

وأجمل ما تقف عند الشاعر شمس الدين الكوفي في منظومته التي يقدم فيها ارشادات ونصائح إلى مستمعيه لعلهم يتعظوا بها فيقول مخاطباً الغيث:

أي غيـــــث تَسِـــــقي ونَســـــقى تحـــــن القلـــــوب وأنـــــت الشـــــجرْ
وكـــــــل واحـــــــدٍ يَثْبّـــــــتْ مـــــــا قـــــــد ســـــــقى أوراقْ

***

فـــــــأوراق نبتـــــــك قـــــــوُتْ الأبـــــدان يـــــا غيـــــث الســـــما
وأوراق نَبتْـــــــــي قـــــــــوتْ الأرواحُ والعشـــــــــــــــــاق

***

لمـــــــا حلَلـــــــتَ نطاقَـــــــكْ نثـــــــرتَ عِقُـــــــد اللؤلـــــــؤ
ودُرْ عِقـــــــــــدِي ينُشـــــــــرْ ومـــــــا حللـــــــت نطـــــــاقْ

***

لا تعتبـــــــــوا للعـــــــــاذل إن لام فـــــــــيمن تعشـــــــــقو

ممـــــا رأى حســـــن وجـــــه ولا بوصـــــــــــــــــلو ذاق

***

حبيبنـــــــــــا يتعـــــــــــرض لنـــــــا إن أعرضـــــــنا عنّـــــو
يغـــــار علـــــى مـــــن يحبّـــــو فـــــــــديت ذي الأخـــــــــلاق

***

تحـــــررت فـــــي الســـــير بـــــاذا لمـــــا علـــــت علـــــى النقـــــى
ومتـــــــى ذكـــــــرت ســـــــليمى قـــــد مـــــت فـــــي حـــــراق(٤٠)

يعقد الشاعر مقارنة لطيفة، فمثلما يروي غيث السماء النبت والشجر، فتزهو الارض بالخصب والنماء كذلك اشعار الشاعر . بما يقدمه من نصائح و وعظ . فهي غذاء روحي يقوي البدن ويدبُّ فيه الحياة والنشوة بالعشق الإلهي الذي يسمو بمكارم الاخلاق، ويطهر النفس من الاوثان والزلات، متوددا لكل ما يرضي المحبوب، متلهفاً للقياه، غير مبالٍ للعذال والوشاة الذين لم يعلموا لما للمحبوب من حسن وبهاء.

ويمضي الشاعر في منظومته مرشد ناصح، إذ يقول:

يـــــا مـــــن يعـــــرض بليلـــــى أشـــــفق علـــــى أهـــــل الهـــــوى
فتحـــــــت قولـــــــك معـــــــاني فيهـــــــا الـــــــدما ســـــــتراق

***

كـــــم لـــــي أبهـــــرج حـــــالي الـــــدمع يكشـــــف بغيتـــــي
وعنـــــد أهـــــل المعـــــارف مـــــا للنفـــــاق نفـــــاق

ويختم الشاعر منظومته مؤكداً ما رام إليه من نصائح وإرشادات كلها خالصة لرضا الله (سبحانه وتعالى)، إذ يقول:

والله وبـــــــــالله وتـــــــــالله ... مـــــا كـــــان فراقـــــي لشـــــهوتي
أيـــــــش أقـــــــدر أعمـــــــل ... إنـــــي فـــــي بـــــاب بـــــدر رواق

الموشح

يرى كثيراً من النقاد ومؤرخي الأدب أنَّ الموشحات قد ظهرت في الأندلس والمغرب، ثم انتقلت إلى المشرق بيد أنَّ النصوص التراثية الجاهلية والإسلامية تخالف هذا القول، وتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنَّ ظهورها مرتبط بظهور الشعر نفسه، أو ظهورها سابق على ذلك، وكان في المشرق لا في المغرب، وأنها كانت في الأصل أناشيد شعبية دينية، وكان الناس ينشدونها منذ الجاهلية الأولى، وحين ظهر الإسلام، وانتشرت الدعوة في الجزيرة العربية، ومما ويؤكد قولنا ما ورد من أخبار في السيرة النبوية . وهي كثيرة . لاسيّما هذه المقطعات الشعرية المزدوجة التي كانت تنشد في المحافل مقرونة بالدفوف وهي كثيرة فضلاً عما ذكره الهاشمي[٤١] من كون أصل الموشحات أغانٍ وأول من قالها أولاد النجار الحجازي وهم متوجهون إلى المدينة المنورة يستقبلون النبي الأعظم محمد ﷺ وبأيديهم الدفوق، وأول ما قالوا:

أشـــــــرقت أنـــــــوار أحمـــــــد ... واختفـــــــت منهـــــــا البـــــــدور
يـــــا محمـــــد يـــــا محمـــــد ... انـــــت نـــــور فـــــوق نـــــور

يلحظ أنّ هذا المقطع الغنائي تستتبعه الأدوار من خلال التكرار والترديد الغنائي في باب السماع الجمالي وهذا يعني أنّ الموشحات الاندلسية حجازية الأصل وذات طابع مشرقي اتخذت في البدء طابعاً دينياً ومن ثم انتقلت الى المغرب فبلغت قمة نضجها الفني في الاندلس،

ثم عادت إلى المشرق ومن هذا المنطلق كان هذا الفن عربي في موشحاته بين مغربه ومشرقه. أمّا ظهور الموشحات في الأندلس فقد كان في أواخر القرن الثالث الهجري، ويقال أنّ أول من صنع أوزان هذه الموشحات واخترع طريقتها محمد بن حمود القبري[٤٢] الضرير، وكان يصنعها على اشطار الأشعار، غير أنَّ أكثرها على الأعاريض المستعملة باللفظ العامي أو العجمي ويسميه المركز، ويصنع عليه الموشحة دون تضمين فيها، ولا أغصان، بينما يرى الحجازي (ت ٥٣٠هـ) أن مقدم بن معافي القبري هو أول مخترع للموشحات، بيد أن الحميدي (ت ٤٤٨هـ) يذكر أن محمد بن محمود هو مخترعها ، وأما بشأن تسمية هذا اللون الشعري يفن الموشح لم تسعفنا كتب تاريخ الأدب بأية معلومة تُذكر،ولسنا نعلم من أطلق هذه التسمية لأول مرة، وقد تعددت التعريفات فيه، وتدارسه الباحثون قديماً وحديثاً منظرين لوضع حده، بيد أني أجد أنَّه (فن مستحدث من فنون الشعر العربي، في هيكل من القصيد لا يسير في موسيقاه على النهج الشعري التقليدي الملتزم لوحدة الوزن ورتوب القافية، وإنما يعتمد على منهج تجديدي متحرر فيه على الأساليب المرعية في النظم بحيث يتغير الوزن، وتتعدد القافية، ولكن مع التزام التقابل في الأجزاء المتماثلة، وهذا الشكل المولد لم يحدث تغييراً في صياغة التفكير كما يتخلصون من التقيد بالقافية، وهو تجديد شكلي اضطرتهم إليه ظروف الغناء والموسيقى)[٤٣].

ومثلما اختلفت الباحثون[٤٤]، والدارسون قديماً وحديثاً في تحديد المصطلح لهذا الفن فقد تباينت آراؤهم حول نشأة الموشح، فيذهب بعضهم إلى أن أصل الموشح أندلسي محلي، ويذهب بعضهم إلى أنه جليقي، ويذهب نفر ثالث إلى أن الاصل البعيد روماني (Romomic) بل قال بعضهم: إن الموشحات أتت الأندلس من بغداد، وان أصلها يلتمس في الرباعيات والتي عُرفت بالمسمطات والمزدوجات بدءً بامرئ القيس وانتهاءً بشعراء الأندلسيين الذين احتذوا حذو نماذجها، ومهما يكن من أمر، فلسنا ممن ينظروا لهذه القضية فقد أفاض الباحثون في دراساتهم حول هذه المسألة وفصلوا فيها القول بما يلزم ويتطلب[٤٥].

ولو نظرنا إلى فن الموشح في هذا العصر لوجدنا أنه اتسع وانتشر انتشاراً لا مثيل له من قبل، إذ إنّ النظم فيه لاقى رواجاً في اواسط الأدب العراقي –لاسيما– عند شعراء الشيعة بوجه، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تلبية لرغبات الشعراء في التجديد في الشعر العربي التقليدي الذي يخضع لقيدي الوزن الواحد والقافية الواحدة فإنَّ في التنوع بالقوافي واختيار ما يناسب من التفعيلات تحبب إليه النفوس، وتروق إليه الاسماع ويشيع في النفس البهجة ، وينشر في القلب الفرح والسرور بما فيه من الغناء، فضلاً

عن كون طريقة النظم فيه تتلائم مع متطلبات العصر.

ومن الشعراء الذين برزوا في فن الموشح وخلّفوا لنا تراثاً قيماً في الأدب ابن زيلاق الموصلي، ومحمد بن مسعود التلعفري، وأحمد بن حسن الموصلي، وشمس الدين الكوفي، وابن الحلاوي وغيرهم، ممن سوف نقف عندهم في دراسة فن الموشح. أما الموضوعات التي نظم فيها هؤلاء الشعراء في فن الموشح فقد تنوعت حسب رغبة الشاعر والمناسبة التي ينشد فيها الشعر، وقد نظم الشعراء في المديح والوصف والخمر والغزل. فمن الموشحات في الغزل ما ذكره الشاعر ابن الحلاوي موشحاً رقيقاً يصلح للغناء ويروق للأسماع، فيقول:

من غردت الورق على الأغصان ... يبين الورقِ
أجرتْ دمعي، و في فؤادي العاني ... أذ كن حرفي([٤٦])

لما برزت في الروح تشدو وتتوح
أضحى دمعي بساحة السفح سفوح
والفكر نديمي في غبوق وصبوح

قد هيّجت الذي به أضناني ... منه قلقي
والقلب له من بعد صبري الفاني ... الوجد بقي

ما راح بريق راية أو لمعا
لا وسحاب مقلتي قد همعا
والجسم على المزُمع هجري زمعا

بالنـــازح، والنـــازح عـــن أوطـــاني ضـــــــــــاقت طرقـــــــــــي
مـــا أصـــنع ؟ قـــد حملـــتُ مـــن أحزانـــي مـــــــــــالم أطـــــــــــقِ

قلبـــــــــي بهـــــــــوى ســـــــــاكنه قـــــــــد خفقـــــــــا
والوجـــــــــد حبـــــــــيس واصـــــــــطباري طلقـــــــــا
والصـــــــــامت ،مـــــــــن ســـــــــريّ، بـــــــــدمعي نطقـــــــــا

فـــي عشـــق مـــنعّم مـــن الولـــدان أصـــــــــــبحت شـــــــــــقي
مـــن جنونـــه، وكـــم يـــزر أجفـــاني غيـــــــــــــــــرُ الأرقِ

ففي هذه الموشحة الغزلية التي إستهلها الشاعر يوصف الطبيعة وسحر أجوائها ومناظرها الخلابة جسَّد حال المحبين وما ينتابهم من شوق وحنين ولوعة لمحبيهم بفن (جديد فن فنون الشعر العربي يمتاز بجماله الفني وكثرة صوره الشعرية وتعقيدها في صناعة الشعر وكثرة قوافيه وأدواره بأوزانه الكثير التي تلائم الذوق، وتوائم الموسيقي والغناء وتتمشي مع الترف وجمال الفن)[٤٧] ويكثر الشاعر في التغني بجمال محبوبه الذي وائم جمال الطبيعة وسحرها الجذاب إذ يقول في موشحة:

فـــــــالورد مـــــــع الشقشـــــــق مـــــــن خديـــــــه
قـــــــد صـــــــانهما النـــــــرجس مـــــــن عينيـــــــه
والآس هـــــــو الســـــــياج مـــــــن صـــــــدُغيه[٤٨]

واللفـــظ وريـــق الاقيـــد الروحـــاني عنـــــــــــد الحـــــــــــذق

حلــوان علـــى غصـــن مـــن المـــرّان غـــــــــــض رشـــــــــــيق

مـــــــا أبـــــــدع وضـــــــع الخـــــــال فـــــــي وجنتـــــــه
خـــــــط الشـــــــكل الرفيـــــــع مـــــــن نقطتـــــــه
قـــــــد حيّـــــــر إقليـــــــدس فـــــــي هيئتـــــــه

كـــالعنبر فـــي نـــار الأســـيل الغـــاني للمستنشـــــــــــــــــــــــق
وعجـــب لعبيـــرٍ وهـــو فـــي النيـــران لـــــــــــــــم يحتـــــــــــــــرق

تتسم هذه الموشحة الغزلية بالعذوبة والرقة والمستوى الرفيع في النظم وكأنَّ ناظمها عدّها لتكون (قصيدة شعرية موضوعة للغناء)(٤٩). وينظم ابن زيلاق الموصلي موشحاً ، يصف فيه الخمرة وصفاً دقيقاً إذ يقول:

يـــا نـــديمي بالرضـــاب قفـــا فهـــــــي لـــــــي مـــــــذهب
واد يراهـــــا خمـــــرة قرقعـــــا لونهـــــــــا مُـــــــــذهب
خلـــت فيهـــا الحبـــاب حـــين صـــنعا انجمـــــــــا تغـــــــــرب
حُججـــــت بالبهـــــاء والحســـــن مـــــن عيـــــون البشـــــر
وبـــــدت فـــــي الخفـــــاء كـــــالوهم تجتنـــــــــي بـــــــــالفكر

لا تحـــــالف يـــــا منيتـــــي أوي وارغـــــــــب بـــــــــالرحيف
مـــا تـــرى صـــحبتي مـــن الســـكر لـــــــيس مـــــــنهم مفيـــــــق
نحـــن قـــوم مـــن شـــيعة الخمـــر ونحـــــــب العشـــــــيق
فيـــه نفضـــنا عنايـــة الحـــزن بســـــــماع الـــــــوتر

وحمانـــا مـــن واجـــب الهـــم وعـــــدل المنتظـــــر

ويمزج الشاعر وصف الخمر بالغزل لمحبوبته، إذ يقول:

حثهـــا بيننـــا رشـــاً وســـنان نلـــت منـــه الأمـــان
نـــاعس الطـــرف ذابـــل الاجفـــان باســـم عـــن جمـــان
قـــد ســـكرنا فـــي لحظـــه الفتـــان قبـــل خمـــر الـــدّنان
رب خمـــر شـــربت مـــن جفـــن واجنيـــت الزّهـــر
مـــن خـــدود تحمـــي عـــن اللـــثم بســـيوف الحـــور(٥٠)

وفي هذه النص الموشحي نرى أنَّ الشاعر استهله بوصف الخمر وساجتها ودبرها وختم بها، وان تخلله مقطع في الغزل لمحبوبته إلّا أنّه أكثر الحديث عن الخمر إذ غالباً ما يأتي ذكر الخمر في الموشحة لعنصر متداخل مع الفنون الأخرى، وهذا مما يقضي على إظهار قدرة الشاعر في الصفة والتحذلق. إنَّ الموشحة تحتوي على أكثر من فن وإن كانت معظم الموشحات في أغراض الغزل والوصف والخمريات، وهو ما يناسب الموشحات بما تحمل من طابع غنائي، يقول د. مصطفى عوض الكريم: (كانت الموشحات في أول الأمر وقفا على الغناء فكانت تعالج موضوعات الغزل، الخمريات ووصف الطبيعة)(٥١) وما لبث ان صارت مطية ذلولاً للمدح، فيما استعمله الوشاحون للوصول إلى عطايا الملوك والأمراء وهباتهم، يقول المستشرق فلشنكي (الموشح هو نوع من الشعر يتألف من أربعة إلى عشرة أدوار شعرية، وثمة أنواع كثيرة من الموشحات تغيير تبعاً لتغير القافية في الدور، وعدد الأشطر المحصورة بين الأبيات المقفاة، وهذا الشكل من الشعر الدوري استعمل في الأنواع التقليدية من الشعر العربي الذي استخدم الأوزان التقليدية)(٥٢).

يمدح الشاعر التلعفري شهاب الدين العزازي(٥٣) بموشحة استهلها بالغزل إذ يقول:

في هوى أهيف معسول اللمى ريقه كم قد شفى من ألم

سائلي عن (أحمد) مما حوى
من خلال هي للداء دوا
ما سواه وهو . يا صاح . سوى
ناشر من كل فن ما انطوى

بحر آدابٍ وفضلٍ قد طمى فاخش من أذيّه الملتطم

العزازي الشهاب الثاقبُ
شكره فرض علينا واجب
فهو . إذ يتلوه . نعم الصاحب
سهمه في كل فن صائب

جائلٌ في حلبة الفضل كما جال في يوم الوغى شهم كمي

شاعر أبدع في أشعاره
ومتى أنكرت قولي باره
لو جرى (مهيار) في مضماره
والخوارزمي) في آثاره

قلتُ: عودا وأرجعا من أنتما ذا (أمرؤ القيس) إليه ينتمي(٥٤)

يبدو أنَّ الشاعر قد أحكم موشحته أحكاماً وصاغ عباراتها صياغة تلائم الغرض الذي من أجله نظم موشحته، بحيث بلغت الذورة في حيوية الاداء ودقة التصوير والتفنن في التوشيح.

أما التصوف فنجد أنَّ بعض الشعراء قد نظموا فيه موشحاتهم لاسيّما تلك الموشحات الغزلية الصوفية، فذكروا تعلقهم بالمحبوب وأشواقهم إلى لقياه، فمن التصوف في الموشح قول الشاعر شمس الدين الكوفي في موشحة استهلها بقوله:

قد صفا الوقت وقد رقّ النسيم ... قم بنا نربحْ
قد جلا السمت ومن تهوى نديم ... حقّنا تفرحْ
في طوى قد شمت جنات النعيم ... ابتدا نفتحْ

فاختلس من صرف دهر ورقيب ... ساعة الإمكانْ
فالثواني بعد أن يدنو الحبيب ... غايةُ الخسرانْ(٥٥)

وبعدها ينقل الشاعر إلى الأجواء الروحانية من الحب الإلهي والصفاء الروحي فيقول:

يا عذ ولي ليس ذا وقت العتاب ... فأنا مشغولْ
أنا أبغي الآن مع كشف الحجاب ... أبلغ المأمولْ
إنْ نقل أنت قتيلٌ فالجواب ... رضي المقتولْ
خلني يا عاذل الصب الكئيب ... كان ما قد كانْ
فحبيبي نصب عيني لا يغيب ... من ضميري دانْ

الألغاز والأحاجي والمعمى

أدرك العلماء العرب الأقدمين منذ وقت مبكر الوظيفة التربوية والتعليمية للألغاز، وما تحظى به من شعبية بين الجماهير، وما تحوي من قيم فكرية وجمالية فاستعاروها قالباً أو إطاراً تربوياً وتعليمياً جذاباً لكثير من علومهم كاللغة والنحو

والصرف والعروض والفقه والفرائض وغيرها وقد، صاغوها صياغة لغزية أو شبه لغزية، منظومة أو منثورة، ويعدُّ علماء اللغة والبلاغة والبديع من أكثر العلماء عناية بدراسة الألغاز وتعريفها، والوقوف على وظائفها الفكرية والجمالية وتحديد أنواعها وخصائصها الفنية وسماتها الأدبية، ولعل من أفضل التعريفات وأقدمها تاريخياً تعريف ابن وهب في كتابه[٥٦] الذي جاء فيه: (وأما اللغز فإنه من ألغز اليربوع أو قيل هو جحر الضب والفأر يحفره بين القاصعاء والناقعاء) ولغز إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ عنه يمنة ويسرة ليعمّى بذلك على طالبه...)، وينقل ثعلب عن ابن الإعرابي قوله في معنى اللغز فيقول (اللغز الحفر الملتوي واللغز الكلام الملبس...)، والأحاجي جمع أحجية أفعولة من الحجا وهو العقل أي مسألة تستخرج بالعقل، والمعمي هو المغطي قال الأزهري: (التعمية أن يعمي الإنسان على غيره الشيء فيلبسه عليه تلبيساً...)[٥٧]، وانطلاقاً من كون الألغاز من الفنون الشعرية القديمة[٥٨]. فقد حظي بعناية الشعراء واهتمامهم فنظموا فيه أشعارهم، وأنَّ إقبال الشعراء في النظم بهذا اللون الشعري يجسد مظهراً من مظاهر الرياضة الذهنية والثقافية في العصر، بل هو سمة من سمات هذه الحقبة ،ولعل ما حفز الشعراء على الإكثار من النظم في هذا اللون الشعري كثرة المجالس الأدبية التي كان الناس يقبلون إليها، ويصغون فيها إلى مناظرة الشعراء ومناقشتهم وقد يسهمون في حل هذه الألغاز ويجهدون في الوصول إلى حل تلك الأحاجي، فإذا ما نجحوا طربوا للنجاح، وازدادوا إقبالاً على المجالس التي كانت تطرح فيها، وولعوا بالمزيد منها، واختلفت موضوعات الألغاز وتلونت بثقافة قائليها فمنها ما هو فقهي فيه نكتة شرعية، ومنها ما هو علمي وذهني، وآخر للتسلية، وتأتي الألغاز في بعض الأحيان على شكل مراسلات أو عن طريق الأسئلة.

ومن المراسلات في الألغاز مما نجده عند الشاعر ابن عُرّاج في إجابته لبعض الشعراء إذ يقول: (السريع)

يـــا ملغـــزاً فـــي شـــعره ســـحره ... حســـبك قـــد أثلجتنـــا يـــاغلام
وقـــــد أجبنـــــاك لتفســـــيره ... فـــافطن لمعنـــى قولنـــا والســـلام[٥٩]

ومنها ما كتبه الشاعر المبارك بن أحمد بن المبارك لغزاً بقوله:

إنْ رُمـــــتَ أن تعرفـــــه فاســـــمهُ تصـــــحيف معكـــــوس رقيـــــين(٦٠)

أما الألغاز المباشرة فقد شملت سائر الموضوعات، وقد تكون إجابتها بكلمة واحدة أو أكثر غايتها تحريك العقل وإشاعة روح التسلية والتزود بالمعرفة والعلم.

ومن هذه الألغاز قول ابن الحُلاويِّ ملغزاً في الشبابة:(الطويل)

وناطقـــــة خرســـــاء بادشـــــحوبها وتكتّفهـــا عشـــرٌ وعـــنهن تخبـــرُ
يلـــذ إلـــى الأســـماع رجـــع حـــديثها (إذا سُدَّ منهـا منخـر جـاش منخـرُ)(٦١)

أما الشاعر ابن عُرّاج فله لغز لطيف في الثلج، إذ يقول:(السريع)

مـــا بـــالكم فـــي مأكـــل بـــارد وشـــرب عـــذب يزيـــل الأوامُ
نضـــربه مـــن فـــرط إشـــفاقنا عليـــه أن يُســـلب ثـــوب الـــدوام
وضـــربه فيـــه انتقـــاع لـــهُ مـــع أنَّـــهُ مـــن نجـــل قـــوم كـــرامُ
تصـــحيفه يـــا ذا النهـــى أنَّـــه مدينـــةٌ مـــن بعـــدها لا تُـــرامُ
وإنْ تُصـــحفه تكـــن ثانيـــاً جنســـاً مـــن الأثمـــار قبـــل التمـــام
وعكســـه مـــن بعـــد تصـــحيفه بلـــدة ملـــك مـــن بـــلاد الشـــام(٦٢)

إنَّ هذا اللغز وأمثاله فيه تحريك للعقل وإعمال للذهن، ذلك أنَّ المراد هو لفظ بعينه وليس أي لفظ آخر، للشيء المراد معرفته. ومما تجد الإشارة إليه أنَّ هذه الألغاز عبارة عن نتف أو مقطعات صغيرة لا تتجاوز أبياتها العشر إلا ما ندر تحمل في ثناياها جوانب معرفية شتى.

الخاتمة:

وتتسم خاتمة هذه الدراسة بنتائج أهمها :

١- سخر الشعراء جهودهم للتعبير عن أبرز مظاهر الحياة وما تتسم به من تجديد وتطوير لفنون الشعر المختلفة، فالدوبيت فن أشاعه طابع مجتمع جديد، يميل إلى الخفة والظرافة والتفكه

فوجدوا في هذا اللون ما يحقق رغبات الناس ويلبي أذواقهم وخصوصاً أنه ينظم في لغتهم.

٢-وكذلك سخر شعراء الشيعة في العراق ، في هذه الفترة ، الفن الشعري (المواليا) الذي تطغى فيه العامية بصور واضحة طاقاتهم الابداعية ، ومايحيل في نفوسهم من خواطر وأفكار تتناسب وتتفاعل مع مقتضيات العصر وما فيه من تطور للحياة مصوراً جانباً من جوانب الحياة العامة في ذلك العصر، وملبياً لأذواق العامة ورغباتهم.

٣-وقد رأينا، كيف أسهم الشعراء مع قلة النماذج في انتعاش حركة الشعر الشعبي في العراق فسجلوا في فن الكان وكان صوراً حية تصف لنا مراحل تطور أدب العامة في ذلك العصر واستطاعوا أن يطوفوا بأبداعهم الشعري ميادين الحياة ومتطلباتها فصوروا بشعرهم جانباً من جوانب الحياة.

٤-وهكذا نجد أنَّ شعراء الشيعة في العراق في هذه المرحلة فيما يبدو متأثرون بأحداث العصر، مستوعبين كل ما دار حولهم من تطور وتجديد في حركة الشعر العربي من أثر تمازج حضارات وثقافات مشرقية مغربية أسهمت في إبداع فنون شعرية غنائية تمثلت في فن الموشح، وقد عالج الشعراء في إطار هذا الفن الجديد مختلف الموضوعات التي عولجت في إطار القصيدة التقليدية من الغزل والوصف والخمريات والحنين والمديح والتصوف.

٥- فالشعراء، كما لمسنا من النماذج الشعرية، قد اسهموا في نظمهم لفن الألغاز في إنتعاش الحركة الأدبية، إذ إنَّ الشاعر بهذا الفن يخاطب العقل ويحرك الذهن (الرياضة الذهنية) ذلك أنَّ الألغاز تتطلب الإلمام الواسع بالعلوم المختلفة.

الهوامش:

(١) ينظر ذيل ديوان الدوبيت، مجلة المورد القسم٢، لسنة ١٩٧٧/ ٣٣ . ٦٥.

(٢) الديوان: ٥٢٨.

(٣) المقتطف (لابن سعيد)/ ٢٢٧.

(٤) ينظر: ذيل ديوان/ لدوبيت، (بحر الدوبيت)، مجلة المورد، القسم٢، سنة ١٩٧٧/ ٣٣ . ٦٥.

(٥) ينظر: الأدب في العصر المملوكي١/ ٣٢٦، الأدب العامي في مصر/ ١٣٩.

(٦) في أدب العصور المتأخرة/ ٤٦.

(٧) الرباعيات في الأدب العربي، مجلة الغري، العدد ١٥، لسنة ١٩٤٤/ ٨٧٩ . ٨٨٢.

(٨) ينظر: ذيل ديوان الدوبيت/ ٣٥.

(٩) فقد نسب ابن تغري يردي (ت ٨٧٤هـ) هذه الرباعية الدوبيية للشاعر العتابي مواليا الذي عدّه محتزعاً للمواليا، وقد أخطأ، ونقل عنه ذلك الخطأ الدكتور عطية (تطور الشعر في بلاد الشام ص ١٤٦) ينظر التفاصيل: ذيل ديوان الدوبيت/ ٣٦.

(١٠) هكذا وجد في النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٦.

(١١) ديوان الدوبيت في الشعر العربي: مجلة المورد ٢ مج٦، ع٢، لسنة ١٩٧٧/ ١٢٧. ٢٠١.

(١٢) ديوان الدوبيت/ ١٣٧ . ١٣٨.

(١٣) المستدرك على صناع الدواوين ٢/ ٣٩١ وما بعدها.

(١٤) الرباعيات في الأدب العربي، مجلة الغري(بحث)، ص ٨٧٩ . ٨٨٢، في أدب العصور المتأخرة: ٤٦.

(١٥) الديوان: ٤٨٦ .

(١٦) ينظر الديوان :٤٧٤ –٥٣٥ .

(١٧) الديوان: ٤٨٢.

(١٨) الديوان: ٦٠٤.

(١٩) الديوان : ٤٨٥.

(٢٠) الديوان: ٤٧٠.

(٢١) مجلة المورد، مج٦، ع٢، سنة ١٩٧٧م/ ٥٦، في النجوم الزاهرة وردت في (الحال) في (الحان) ويرى ابن تغري بردي ان هذه الرباعية الدوبيتة مواليا ينظر: النجوم الزاهرة٦/ ٢٥٩.

(٢٢) الديوان: ٥٠٣.

(٢٣) وأنشد هذا الدوبيت قبل موته وهو آخر شعره، ينظر الديوان: ٦٠٣.

(٢٤) الديوان: ٥٤٩.

(٢٥) (بِلبيس) بكسر الباءين: مدينة بينها وبين قسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام يكنها بحس بن يقيض، ينظر: معجم البلدان (بلبيس).

(٢٦) الديوان: ٥١٥.

(٢٧) سفينة الملك ونفسية الفلك (محمد بن إسماعيل): ٣٨٠.

(٢٨) ينظر: في أدب العصور المتأخرة: ٥٩.

(٢٩) سفينة الملك ونفسية الفلك: ٣٨٠.

(٣٠) ينظر: سفينة الملك/ ٣٨٠، في أدب العصور المتأخرة/ ٥٩، الأدب في بلاد الشام/ ٥٧٩.

(٣١) ينظر: العاطل الحلي والمرخص الغالي: ١٠٥.

(٣٢) وفيات الأعيان١/ ٥٩.

(٣٣) الديوان: ٥٦٢. رخيم المسا: عذب الصوت.

(٣٤) ديوان الكان وكان، د. كامل مصطفى الشيبي)/ ١٦.

(٣٥) ينظر: الفنون الشعرية غير المعربة (الكان وكان والقوما)٣/ ٩ . ١٠.

(٣٦) الفنون الشعرية غير المعربة٣: ٢١.

(٣٧) ينظر: بلوغ الأمل في فن الزجل/ ١٢٩، العاطل الحالي والمرخص الغالي/ ١٤٨.

(٣٨) الكشكول (للعاملي)١: ١٣٣.

(٣٩) الكشكول ١/ ١٣٥.

(٤٠) الكشكول١/ ١٣٤ . ١٣٥.

(٤١) ينظر: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ١٦٥.

(٤٢) ينظر: ابن خلدون في مقدمته (الفصل الأخير)، الجذوة/ ٢٥٥.

(٤٣) الأدب المغربي: ٢٣٩.

(٤٤) ينظر تفاصيل هذه الآراء ، فصول في الأدب الأندلسي: ١٢٩ وما بعدها، تاريخ الأدب الأندلسي٢: ٢٢١ وما بعدها، الموشحات الأندلسية: ١٦ وما بعدها

(٤٥) ينظر: الأدب العامي في العصر الملوكي: ٩٧، الموشحات العراقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن التاسع عشر: ٢٣١ وما بعدها، فن التقطيع الشعري: ٣٥.

(٤٦) الموشحات العراقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن التاسع عشر: ٣٥١ وما بعدها.

(٤٧) قصة الأدب في الأندلسي ٢: ١٣٤.

(٤٨) الموشحات العراقية: ٣٥٣.

(٤٩) تاريخ الأدب العربي في الأندس٢: ١٣٤.

(٥٠) يوسف ابن زبلاق :١٣٨ ومابعدها .

(٥١) فن التوشيح :١٧ .

(٥٢) الأدب العربي (الفشنكي)/ ١٨٠.

(٥٣) هو أحمد بن عبدالملك بن عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن جامع بن راضي بن جامع العزازي كان شاعراً كيّساًظريفاً جيد النظم في الشعر والموشحات والعزازي نسبة إلى بلدة اعزاز بضواحي حلب (ت٧١٠ت) ينظر: فوات الوفيات ١/ ٩٥ النجوم الزاهرة ٩/ ٢١٤، شذرا تالذهب٦/ ١٦٢، الوافي بالوفيات٧/ ١٤٨.

(٥٤) مهيار: هو أبو الحسن بن مرزويه الكاتب والفارس الديلمي الشاعر المشهور كان شاعراً جزل القول مقدّما على أهل وقته (ت٤٢٨هـ) ينظر ترجمته وفيات الأعيان٥/ ٣٥٩.

(٥٥) قوات الوفيات٤: ٦١ – ٦٢ .

(٥٦) البرهان في وجوه البيان: ١٢٠ – ١٤٦.

(٥٧) فن الأحاجي والألغاز في التراث العربي، بحث (د. محمد رجب النجار) المجلة العربية للعلوم الإنسانية،ع٢٠ ، ص١٥٠.

(٥٨) ينظر: العمدة١ :٣٠٧ .

(٥٩) قلائد الجمان: مج٨، ج١٠: ٣٠٢.

(٦٠) قلائد الجمان: مج٥، ج٦: ٥٦.

(٦١) عجز البيت لتأبط شراً، وصدره: (فذاك قريع الدهر ما عاش مول) : ينظر: ديوانه/ ٩٠ .

(٦٢) قلائد الجمان: مج٨، ج١٠: ٣٠٢.

المصادر والمراجع:

- الأدب العربي، لفشنكي، ترجمة الأستاذ يوسف ثروت، ط١.
- الأدب المغربي، محمد بن ثاويت، محمد الصادق عفيفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ،١٩٦٠م.
- الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، أحمد صادق الجمال، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- الأدب في بلاد الشام، د. عمر موسى باشا، دمشق، ط٢ ،١٩٧٢م.
- ديوان التلعفري، محمد بن يوسف بن مسعود التلعفري الشيباني، حققه وقدم له: د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤ م.
- ديوان الصاحب بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي (ت ٦٩٢ ه)،صنعة وتحقيق :كامل سلمان الجبوري، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٦ م.
- ديوان تأبط شرا اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م.
- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، حكمة علي الاوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دائرة المعارف، مصر، ١٩٧١ م.
- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب (ت٣٣٧ ه)، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد،١٩٦٧ م.
- بلوغ الآمل في فن الزجل، ابن حجة الحموي، تحقيق د. رضا محسن القريشي، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤ م.
- تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧١ م.
- تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)، د. عمر موسى باشا، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧٩ م.
- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، حكمة علي الاوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).
- فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، مكتبة المثنى، بغداد، ط٥، ١٩٧٧ م.
- فن التوشيح، د. مصطفى عوض الكريم، دار الثقافة، بيروت،ط٢، ١٩٧٤ م.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٣ م.
- قصة الادب في الاندلس، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة المعارف،بيروت،١٩٦٢ م.
- في أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، جامعة الموصل،ط١ ،١٩٨٧ م.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعارالموصلي(ت٦٥٤ ه)، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، شمس الدين ابو المظفر، ابن علي مراد التركي، الشهير سبط ابن الجوزي،
- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند،ط١، ١٩٥١م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت ٤٥٦ ﻫ)، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ٢، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- المقتطف من ازاهير الطرف، ابن سعيد الاندلسي، تح: د. سيد حنفي حسنين، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون (ت ٨٠٨ ﻫ)، حققها د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ط٢ ،١٩٦٨
- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، النقاء، منير، بغداد،١٩٨٢ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦ م، وطبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة (د.ت).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدبن أبيك الصفدي(ت٧٦٤ ﻫ)،ط٢، دار صادر ـ بيروت، ١٩٨١ م.
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ابن خلكان (ت ٦٨١ ﻫ)، تح: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٧.

الرسائل والاطاريح

- ديوان راجح الحلي ، تحقيق ودراسة: أميرة محمود، رسالة ماجستير، جامعة الموصل،١٩٧٨م.

المجلات والدوريات

- ابن الحلاوي الموصلي حياته وشعره، تحقيق: د. محمد قاسم مصطفى، د. عبد الوهاب العدواني، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العدد(٢) شباط،١٩٨٠م.
- ديوان شرف الدين، المبارك بن احمد بن المبارك اللخمي الاربلي المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧ ﻫ ـ ١٢٣٩ م)، مجلة الذخائر، جمع وتقديم وتحقيق د. كامل سلمان الجبوري، العددان (٢١ و٢٢)، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.
- ديوان شمس الدين الكوفي، شعر شمس الدين محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي جمع ـ ودراسة، د. حسين عبد العالي اللهيبي، مركز دراسات الكوفة، الكوفة، العدد(١٥) ٢٠٠٩ .
- شعر شمس الدين الكوفي الواعظ، د. محمد حسن علي، مجلة آداب المستنصرية بجامعة الموصل، العدد(٢)،١٩٧٤م.
- يوسف ابن زيلاق الموصلي (ت ٦٦٠ ﻫ) حياته وشعره، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، مجلة الذخائر العددان(١٩ و ٢٠)، السنة الخامسة،١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.